**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : غزوة الخندق**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : العاشر**

**غزوة الأحزاب 5 هـ**

**تاريخ الغزوة وأسبابها :**

ذهب جمهور أهل السير والمغازي إلى أن غزوة الأحزاب كانت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة , وقال الواقدي : إنها وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري ، وقال ابن سعد: إن الله استجاب لدعاء الرسول فهزم الأحزاب يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من مهاجره صلى الله عليه وسلم .

إن يهود بني النضير بعد أن خرجوا من المدينة إلى خيبر خرجوا وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين ، فما أن استقروا بخيبر حتى أخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين ، فاتفقت كلمتهم على التوجه إلى القبائل العربية المختلفة لتحريضها على حرب المسلمين , وكونوا لهذا الغرض الخبيث وفداً يتكون من سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وأبي عمار ، وقد نجح الوفد نجاحاً كبيراً في مهمته ، حيث وافقت قريش التي شعرت بمرارة الحصار الاقتصادي المضروب عليها من قبل المسلمين ، ووافقت غطفان طمعاً في خيرات المدينة وفي السلب والنهب وتابعتهم قبائل أخرى .

وقد قال وفد اليهود لمشركي مكة: إن دينكم خير من دين محمد، وأنتم أولى بالحق منه , وعن ذلك يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً - أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) [النساء: 51، 52] ، وقد أبرم الوفد اليهودي مع زعماء أعراب غطفان اتفاقية الاتحاد العربي الوثني اليهودي العسكري ضد المسلمين ، وكان أهم بنود هذا الاتفاق هو:

أ- أن تكون قوة غطفان في جيش الاتحاد هذا ستة آلاف مقاتل .

ب- أن يدفع اليهود لقبائل غطفان (مقابل ذلك) كل تمر خيبر لسنة واحدة .

لقد استطاع وفد اليهود أن يرجع من رحلته إلى المدينة ، ومعه عشرة آلاف مقاتل ؛ أربعة آلاف من قريش وأحلافها ، وستة آلاف من غطفان وأحلافها ، وقد نزلت تلك الأعداد الهائلة بالقرب من المدينة .

**متابعة المسلمين للأحزاب :**

كان جهاز أمن الدولة الإسلامية على حذر تام من أعدائه ، لذا فقد كان يتتبع أخبار الأحزاب ، ويرصد تحركاتهم ، ويتابع حركة الوفد اليهودي منذ خرج من خيبر في اتجاه مكة ، وكان على علم تام بكل ما يجري بين الوفد اليهودي وبين قريش أولاً , ثم غطفان ثانياً ، وبمجرد حصول المدينة على هذه المعلومات عن العدو شرع الرسول صلى الله عليه وسلم في اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة ، ودعا إلى اجتماع عاجل حضره كبار قادة جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار، بحث فيه معهم هذا الموقف الخطير الناجم عن مساعي اليهود الخبيثة ، فأدلى سلمان الفارسي - رضي الله عنه - برأيه الذي يتضمن حفر خندق كبير لصد عدوان الأحزاب , فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك , قال الواقدي -رحمه الله-: فقال سلمان: يا رسول الله , إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل ، خندقنا علينا ، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ فأعجب رأي سليمان المسلمين) ، وعندما استقر الرأي -بعد المشاورة- على حفر الخندق ، ذهب النبي صلى الله عليه وسلم هو وبعض أصحابه لتحديد مكانه واختار للمسلمين مكاناً تتوافر فيه الحماية للجيش .

فقد ذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعاً ينزله , فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعاً خلف ظهره ويخندق من المذاد إلى ذباب إلى راتج , وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من مناعة جبل سلع في حماية ظهور الصحابة .

كان اختيار تلك المواقع موفقاً ؛ لأن شمال المدينة هو الجانب المكشوف أمام العدو والذي يستطيع منه دخول المدينة وتهديدها ، أما الجوانب الأخرى فهي حصينة منيعة ، تقف عقبة أمام أي هجوم يقوم به الأعداء ، فكانت الدور من ناحية الجنوب متلاصقة عالية كالسور المنيع ، وكانت حرة واقم من جهة الشرق , وحرة الوبرة من جهة الغرب ، تقومان كحصن طبيعي ، وكانت آطام بني قريظة في الجنوب الشرقي كفيلة بتأمين ظهر المسلمين، وكان بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قريظة عهد ألا يمالئوا عليه أحداً ، ولا يناصروا عدواً ضده .

لقد كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في الخندق متطورة ، ومتقدمة، حيث شرع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال ، ولم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم , بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريباً عنهم ، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين ، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة لأعداء الإسلام ، وأبطل خطتهم التي رسموها ، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرية الخطة وسرعة إنجازها ، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشتيت قواتهم .

**اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجبهة الداخلية :**

لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم جيش الأحزاب وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة , حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء ، وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ، لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين ؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب , فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة , يسخر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية للإبداع في القتال ، أما إذا كان الأمر بعكس ذلك فإن أمر الجندي يضطرب ومعنوياته تضعف ويستولي عليه القلق ، مما يكون له أثر في تراجعه عن القتال ، وبذلك تنزل الكارثة بالجميع .

ومن الأمور التي ساهمت في تقوية وتماسك الجبهة الداخلية مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم جنده أعباء العمل ، فقد شارك الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة في العمل المضني , فأخذ يعمل بيده الشريفة ، في حفر الخندق ، فعن ابن إسحاق قال: سمعت البراء يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة بهمة عالية لا تعرف الكلل ، فأعطى القدوة الحسنة لأصحابه حتى بذلوا ما في وسعهم لإنجاز حفر ذلك الخندق .

وكان صلى الله عليه وسلم يشارك الصحابة -رضي الله عنهم- في آلامهم وآمالهم ، بل كان يستأثر بالمصاعب الجمة دونهم , ففي غزوة الأحزاب نجد أنه صلى الله عليه وسلم كان يعاني من ألم الجوع كغيره ، بل أشد ، حيث وصل به الأمر إلى أن يربط حجراً على بطنه الشريف من شدة الجوع , ثم إنه صلى الله عليه وسلم شاركهم في آمالهم فحين وجد ما يسد رمقه بعد هذا الجوع الذي استمر ثلاثاً ، لم يستأثر بذلك دونهم .

رفع معنويات الجنود وإدخال السرور عليهم ، إذ اقترن حفر الخندق بصعوبات جمة ، فقد كان الجو بارداً ، والريح شديدة والحالة المعيشية صعبة ، بالإضافة إلى الخوف من قدوم العدو الذي يتوقعونه في كل لحظة ، ويضاف إلى ذلك العمل المضني ، حيث كان الصحابة يحفرون بأيديهم وينقلون التراب على ظهورهم ، ولا شك في أن هذا الظرف بطبيعة الحال يحتاج إلى قدر كبير من الحزم ، والجد ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينسَ في هذا الظرف أن هؤلاء الجند إنما هم بشر كغيرهم ، لهم نفوس بحاجة إلى الراحة من عناء العمل ، كما أنها بحاجة إلى من يدخل السرور حتى تنسى تلك الآلام التي تعانيها فوق معاناة العمل الرئيسي. ولهذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأعادي قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

ثم يمد صوته بآخرها .

تقدير ظروف الجند والإذن بالانصراف عند الحاجة ، كان الصحابة رضي الله عنهم على قدر كبير من الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم , فكانوا يستأذنونه في الانصراف إذا عرضت لهم ضرورة ، فيذهبون لقضاء حوائجهم ، ثم يرجعون إلى ما كانوا فيه من العمل ، رغبة في الخير واحتساباً له , فأنزل الله فيهم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النور: 62] ، ومعنى الآية الكريمة: إذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لقضاء بعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها ، واستغفر لهم , فكان النبي صلى الله عليه وسلم بالخيار، إن شاء أذن له إذا رأى ذلك ضرورة للمستأذن ، ولم ير فيه مضرة على الجماعة ، فكان يأذن أو يمنع حسب ما تقتضيه المصلحة ويقتضيه مقام الحال .

تقسيم الصحابة إلى دوريات للحراسة ، إذ قسم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى مجموعات للحراسة ومقاومة كل من يريد أن يخترق الخندق ، وقام المسلمون بواجبهم في حراسة الخندق وحراسة نبيهم صلى الله عليه وسلم , واستطاعوا أن يصدوا كل هجوم حاول المشركون شنه ، وكانوا على أهبة الاستعداد جنوداً وقيادة ، حتى أنهم استمروا ذات يوم من السحر إلى جوف من الليل في اليوم الثاني ، ويفوت المسلمون الصلوات الأربع ، ويقضونها لعجزهم عن التوقف لحظة واحدة أثناء الاشتباك المباشر للقتال ، واستطاع علي بن أبي طالب مع مجموعة من الصحابة أن يصدوا محاولة عكرمة ابن أبي جهل ، بل تصدى علي لبطل قريش عمرو بن عبد ود وقتله ، وكانت هناك مجموعة من الأنصار تقوم بحراسة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة على رأسهم عباد بن بشر - رضي الله عنه - ، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو القائد الأعلى وهو المشرف المباشر على إدارة المعركة فهو الذي يرسم الخطط ويراقب تنفيذها فهو الذي:

أ- أمر بحفر الخندق بعد أن تمت المشاورة في ذلك ، فاختار مكاناً مناسبًا لذلك , وهي السهول الواقعة شمال المدينة ، إذ كانت هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء .

ب- قسَّم أعمال حفر الخندق بين الصحابة ، كل أربعين ذراعاً لعشرة من الصحابة ، ووكل بكل جانب جماعة يحفرون فيه .

ج- سيطر صلى الله عليه وسلم على العمل ، فلا يستطيع أحد ترك عمله إلا بإذن منه صلى الله عليه وسلم .

د- قسم صلى الله عليه وسلم واجبات احتلال الموضع بنفسه , بحيث تستمر الحراسة على كل شبر من الخندق ليلاً ونهاراً ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم بمهمة الإشراف العام على الجند بتشجيعهم ورفع معنوياتهم .

هـ- استطاع صلى الله عليه وسلم لما يتمتع به من حنكة وبراعة سياسية مستمدة من شخصيته النبوية أن يمسك بزمام الأمور، وينقذ المؤمنين من الموقف الحرج الذي حدث لهم عندما وصلت الأحزاب إلى المدينة ، وأصبح الخطر يهدد المدينة وما حولها , فقد توحدت قيادة المسلمين تحت زعامته صلى الله عليه وسلم , فكان ذلك من أسباب كسب المعركة والفوز بها .

مع أن المسلمين أخذوا بكافة الاحتياطات في تأمين جبهتهم الداخلية , ومحاولة الدفاع عن الإسلام والمدينة من جيش الأحزاب الزاحف , إلا أن سنة الله الماضية لا نصر إلا بعد شدة ، ولا منحة إلا بعد محنة، وكلما اقترب النصر زاد البلاء والامتحان ، وقد ازدادت محنة المسلمين في الخندق لأمور:

**نقض اليهود من بني قريظة العهد ومحاولة ضرب المسلمين من الخلف :**

كان المسلمون يخشون غدر يهود بني قريظة الذين يسكنون في جنوب المدينة فيقع المسلمون حينئذ بين نارين، اليهود خلف خطوطهم ، والأحزاب بأعدادهم الهائلة من أمامهم ، ونجح اليهودي زعيم بني النضير في استدراج كعب بن أسد زعيم بني قريظة لينضم مع الأحزاب لمحاربة المسلمين .

وسرت الشائعات بين المسلمين بأن قريظة قد نقضت عهدها معهم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى أن تنقض بنو قريظة العهد الذي بينهم وبينه ؛ لأن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ذمة ، ولذلك انتدب النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ليأتيه من أخبارهم فذهب الزبير، فنظر ثم رجع فقال: يا رسول الله: رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم ، وقد جمعوا ماشيتهم ، وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة للعهد ، أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير -رضي الله عنهم- وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقّاً فالحنوا لي لحنًا أعرفه ، ولا تفتوا في أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس ، فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم قد نقضوا العهد , فرجعوا فسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: عضل والقارة , فعرف النبي صلى الله عليه وسلم مرادهم .

واستقبل النبي صلى الله عليه وسلم غدر بني قريظة بالثبات والحزم واستخدام كل الوسائل التي من شأنها أن تقوي روح المؤمنين وتصدع جبهات المعتدين ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت نفسه (سلمة بن أسلم) في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل ، يحرسون المدينة ، ويظهرون التكبير ليرهبوا بني قريظة , وفي هذه الأثناء استعدت بنو قريظة للمشاركة مع الأحزاب ، فأرسلت إلى جيوشها عشرين بعيراً كانت محملة تمراً ، وشعيراً ، وتيناً لتمدهم بها وتقويهم على البقاء إلا أنها أصبحت غنيمة للمسلمين الذين استطاعوا مصادرتها وأتوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

**تشديد الحصار على المسلمين وانسحاب المنافقين ونشرهم الأراجيف:**

زادت جيوش الأحزاب في تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بني قريظة إليها ، واشتد الكرب على المسلمين ، وتأزم الموقف ، وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدهور التي أصابت المسلمين ووصف ما وصل إليه المسلمون من جزع وخوف ، وفزع في تلك المحنة الرهيبة أصدق وصف , حيث قال تعالى: (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا - هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا) [الأحزاب: 10، 11] ، وكان ظن المسلمين بالله قوياً ، وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) [الأحزاب: 22] .

وأما المنافقون فقد انسحبوا من الجيش ، وزاد خوفهم حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وطلب البعض الآخر الإذن لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها عورة ، فقد كان موقفهم يتسم بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين ، وقد وردت روايات ضعيفة تحكي أقوالهم في السخرية والإجحاف والتخذيل , ولكن القرآن الكريم يتكفل بتصوير ذلك أدق تصوير, والآيات هي: (وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا - وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا - وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً - قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً - قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا - قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً - أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا - يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً) [الأحزاب: 13 - 20] .

تزايدت محاولات المشركين لاقتحام الخندق ، وأصبحت خيل المشركين تطوف بأعداد كبيرة كل ليلة حول الخندق حتى الصباح ، وحاول خالد بن الوليد مع مجموعة من فرسان قريش أن يقتحم الخندق على المسلمين في ناحية ضيقة منه , ويأخذهم على حين غرة ، لكن أسيد بن حضير في مائتين من الصحابة يراقبون تحركاتهم ، وقد حصلت مناوشات استشهد فيها الطفيل بن النعمان والذي قتله وحشي قاتل حمزة يوم أحد ، رماه بحربة عبر الخندق فأصابت منه مقتلاً ، واستطاع حبان بن العرقة من المشركين أن يرمي سهماً أصاب سعد بن معاذ - رضي الله عنه - في أكحله ، وقال: خذها وأنا بن العرقة ، وقد قال سعد بن معاذ عندما أصيب: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إليَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها شهادة , ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة .

وقد استجاب الله دعوة هذا العبد الصالح وهو الذي سيحكم فيهم , ثم وجه المشركون كتيبة غليظة نحو مقر رسول الله صلى الله عليه وسلم , فقاتلهم المسلمون يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنت كتيبة ، فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا ، وشغل بهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل العصر، ولم تنصرف الكتيبة إلا مع الليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً ، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» .

**محاولة النبي صلى الله عليه وسلم تخفيف حدة الحصار بعقد صلح مع غطفان وبث الإشاعات في صفوف الأعداء :**

**سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في المفاوضات مع غطفان :**

ظهرت حنكته صلى الله عليه وسلم وحسن سياسته حين اختار قبيلة غطفان بالذات لمصالحتها على مال يدفعه إليها على أن تترك محاربته وترجع إلى بلادها ، فهو يعلم صلى الله عليه وسلم أن غطفان وقادتها ليس لهم من وراء الاشتراك في هذا الغزو أي هدف سياسي يريدون تحقيقه , أو باعث عقائدي يقاتلون تحت رايته ، وإنما كان هدفهم الأول والأخير من الاشتراك في هذا الغزو الكبير هو الحصول على المال بالاستيلاء عليه من خيرات المدينة عند احتلالها ، ولهذا لم يحاول الرسول صلى الله عليه وسلم الاتصال بقيادة الأحزاب من اليهود (كحيي بن أخطب ، وكنانة بن الربيع) أو قادة قريش كأبي سفيان بن حرب ، لأن هدف أولئك الرئيسي ، لم يكن المال , وإنما كان هدفهم هدفاً سياسيّاً وعقائديّاً يتوقف تحقيقه والوصول إليه على هدم الكيان الإسلامي من الأساس ، لذا فقد كان اتصاله (فقط) بقادة غطفان ، الذين (فعلاً) لم يترددوا في قبول العرض الذي عرضه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد استجاب القائدان الغطفانيان (عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف) لطلب النبي صلى الله عليه وسلم وحضرا مع بعض أعوانهما إلى مقر قيادة النبي صلى الله عليه وسلم واجتمعا به وراء الخندق مستخفين دون أن يعلم بهما أحد ، وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفاوضتهم , وكانت تدور حول عرض تقدم به رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيه إلى عقد صلح منفرد بينه وبين غطفان ، وأهم البنود التي جاءت في هذه الاتفاقية المقترحة:

أ- عقد صلح منفرد بين المسلمين وغطفان الموجودة ضمن جيوش الأحزاب .

ب- توادع غطفان المسلمين وتتوقف عن القيام بأي عمل حربي ضدهم (وخاصة في هذه الفترة) .

ج- تفك غطفان الحصار عن المدينة وتنسحب بجيوشها عائدة إلى بلادها .

د- يدفع المسلمون لغطفان (مقابل ذلك) ثلث ثمار المدينة كلها من مختلف الأنواع ، ويظهر أن ذلك لسنة واحدة , فقد ذكر الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقائدي غطفان: «أرأيت إن جعلت لكم ثلث تمر المدينة ترجعان بمن معكم وتخذلان بين الأعراب؟» قالا: تعطينا نصف تمر المدينة ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيدهما على الثلث ، فرضيا بذلك ، وجاءا في عشرة من قومهما حين تقارب الأمر ، ويعني قبول قائدي غطفان ما عرضه عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوجهة العسكرية ، وضوح الهدف الذي خرجت غطفان من أجله ، وهو الوقود الذي يشعل نفوس هؤلاء ويحركها في جبهة القتال ، ولا شك في أن اختفاء هذا الدافع يعني أن المحارب فقد ثلثي قدرته على القتال ، وبذلك تضعف عنده الروح المعنوية التي تدفعه إلى الاستبسال في مواجهة خصمه ، وبذلك استطاع صلى الله عليه وسلم أن يفتت ويضعف من قوة جبهة الأحزاب .

فقد أبرز صلى الله عليه وسلم في هذه المفاوضات جانباً من جوانب منهج النبوة في التحرك لفك الأزمات عند استحكامها وتأزمها , لتكون لأجيال المجتمع المسلم درساً تربويّاً من دروس التربية المنهجية عند اشتداد البلاء , وقبل عقد الصلح مع غطفان شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة في هذا الامر، فكان رأيهم في عدم إعطاء غطفان شيئاً من ثمار المدينة وقال السعدان -سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة-: يا رسول الله أمرًا تحبه ، فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: «بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة , وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت وذاك» .

فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال: ليجهدوا علينا ، كان رد زعيمي الأنصار سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة في غاية الاستسلام لله تعالى والأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته ، فقد جعلوا أمر المفاوضة مع غطفان ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون هذا الأمر من عند الله تعالى فلا مجال لإبداء الرأي بل لا بد من التسليم والرضا .

والثاني: أن يكون شيئاً يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باعتباره رأيه الخاص ، فرأيه مقدم وله الطاعة في ذلك .

الثالث: أن يكون شيئاً عمله الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة المسلمين من باب الإرفاق بهم ، فهذا هو الذي يكون مجالا للرأي .

ولما تبين للسعدين من جواب الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أراد القسم الثالث , أجاب سعد بن معاذ بجواب قوي كبت به زعيمي غطفان حيث بين أن الأنصار لم يذلوا لأولئك المعتدين في الجاهلية , فكيف وقد أعزهم الله تعالى بالإسلام ، وقد أعجب النبي صلى الله عليه وسلم بجواب سعد , وتبين له منه ارتفاع معنوية الأنصار واحتفاظهم بالروح المعنوية العالية ، فألغى بذلك ما بدأ به من الصلح مع غطفان .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة» دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستهدف من عمله ألا يجتمع الأعداء عليه صفّاً واحداً .

وفي استشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة يبين لنا أسلوبه في القيادة , وحرصه على فرض الشورى في كل أمر عسكري يتصل بالجماعة ، فالأمر شورى ولا ينفرد به فرد حتى ولو كان هذا الفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم , ما دام الأمر في دائرة الاجتهاد ولم ينزل به وحي ، إن قبول الرسول صلى الله عليه وسلم رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين جنده رباط الثقة ، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره ، ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه ، ومصالحة النبي صلى الله عليه وسلم مع قائدي غطفان تعد من باب السياسة الشرعية التي تراعي فيها المصالح والمفاسد حسب ما تراه القيادة الرشيدة للأمة .

**اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببث الخذلان في صفوف الأعداء:**

استخدام النبي صلى الله عليه وسلم سلاح التشكيك والدعاية لتمزيق ما بين الأحزاب من ثقة وتضامن ، فلقد كان يعلم صلى الله عليه وسلم أن هناك تصدعاً خفياً بين صفوف الأحزاب , فاجتهد أن يبرزه ويوسع شقته ويستغله في جانبه ، فقد سبق أن أطمع غطفان ففكك عزمها ، والآن ساق المولى عز وجل نعيم بن مسعود الغطفاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه ، وقال له: يا رسول الله , إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة» .

فقام نعيم بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم , فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتنصرف عن الحصار، وقال لقريش بأن اليهود إنما تطلب الرهائن لتسليمها للمسلمين ثمنًا لعودتها إلى صلحهم ، لقد اشتهرت قصة نعيم بن مسعود في أنها لا تتنافى مع قواعد السياسة الشرعية , فالحرب خدعة ، وقد نجحت دعاية نعيم بن مسعود أيما نجاح ، فغرست روح التشكيك ، وعدم الثقة بين قادة الأحزاب ، مما أدى إلى كسر شوكتهم ، وتهبيط عزمهم .

**شدة تضرع الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول النصر:**

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التضرع والدعاء والاستعانة بالله , وخصوصاً في مغازيه ، وعندما اشتد الكرب على المسلمين أكثر مما سبق حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً ، فما كان من المسلمين إلا أن توجهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: نعم ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم , فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم , فأقبلت بشائر الفرج فقد صرفهم الله بحوله وقوته ، وزلزل أبدانهم وقلوبهم ، وشتت جمعهم بالخلاف , ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة ، وألقى الرعب في قلوبهم ، وأنزل جنوداً من عنده سبحانه , قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الأحزاب: 9] .

وكانت هذه الريح معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا قريباً منهم ، ولم يكن بينهم إلا عرض الخندق ، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها ، وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط , وأطفأت النيران , وأكفأت القدور, وجالت الخيول بعضها في بعض ، وأرسل عليهم الرعب ، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إليَّ فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء ، لما بعث الله عليهم الرعب .

وحرص الرسول عليه الصلاة والسلام أن يؤكد لصحبه ثم للمسلمين في الأرض ، أن هذه الأحزاب التي تجاوزت عشرة آلاف مقاتل لم تهزم بالقتال من المسلمين ، على الرغم من تضحياتهم ، ولم تهزم بعبقرية المواجهة ، إنما هزمت بالله وحده: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الأحزاب: 9] ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا إله إلا الله وحده ، أعز جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده» .

ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ، واعتماده عليه وحده ، لا يتناقض أبداً مع التماس الأسباب البشرية للنصر، فقد تعامل صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة مع سنة الأخذ بالأسباب , فبذل جهده لتفريق الأحزاب ، وفك الحصار، وغير ذلك من الأمور التي ذكرناها .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا سنة الأخذ بالأسباب , وضرورة الالتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له ؛ لأنه لا تجدي وسائل القوة كلها إذا لم تتوافر وسيلة التضرع إلى الله والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة , فقد كان الدعاء والتضرع إلى الله من الأعمال المتكررة الدائمة التي فزع إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كلها .

**تحري انصراف الأحزاب :**

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتابع أمر الأحزاب , وأحب أن يتحرى عما حدث عن قرب فقال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم , جعله الله معي يوم القيامة ، فاستعمل صلى الله عليه وسلم أسلوب الترغيب ، وكرره ثلاث مرات ، وعندما لم يُجْدِ هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم في الأمر، فعين واحداً بنفسه فقال: «قم يا حذيفة فائتنا بخبر القوم ، ولا تذعرهم عليَّ» ، قال حذيفة - رضي الله عنه -: فمضيت كأنما أمشي في حمام , فإذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار, فوضعت سهماً في كبد القوس ، وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تذعرهم عليَّ , ولو رميته لأصبته فرجعت كأنما أمشي في حمام ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابني البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أبرح نائماً حتى الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم يا نومان» .

نتائج **غزوة الأحزاب :**

لقد كانت غزوة الأحزاب من الغزوات المهمة التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم وحققوا فيها نتائج مهمة منها:

- انتصار المسلمين , وانهزام أعدائهم , وتفرقهم , ورجوعهم مدحورين بغيظهم قد خابت أمانيهم وآمالهم .

- تغير الموقف لصالح المسلمين , فانقلبوا من موقف الدفاع إلى الهجوم ، وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «الآن نغزوهم ، ولا يغزوننا , نحن نسير إليهم» .

- كشفت هذه الغزوة يهود بني قريظة وحقدهم على المسلمين وتربص الدوائر بهم ، فقد نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأصعبها .

- كشفت غزوة الأحزاب حقيقة صدق إيمان المسلمين وحقيقة المنافقين وحقيقة يهود بني قريظة , فكان الابتلاء بغزوة الأحزاب تمحيصاً للمسلمين وإظهار حقيقة المنافقين واليهود .

- كانت غزوة بني قريظة نتيجة من نتائج غزوة الأحزاب ، حيث تم فيها محاسبة يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأقساها .